

## 170262 - نبذة عن " أبي حيان التوحيدي " وكتابه " البصائر والذخائر "

### السؤال

هل من نبذة عن شخصية " أبي حيان التوحيدي " وهل هو من الملحدين ؟ وما رأيكم بكتابه " الذخائر والبصائر " ؟

### الإجابة المفصلة

شخصية أبي حيان التوحيدي - توفي عام 414 هـ - شخصية جدليّة ، وقد تضاربت الأقوال في اعتقاده ومنهجه - بل وحتى في لقبه " التوحيدي " هل هو نسبة لنوع تمر أو هو للتوحيد الذي عند المعتزلة وحقيقته : نفي صفات الله تعالى - فمن قائل فيه إنه زنديق ضال ملحد ، ومن قائل إنه كان صحيح العقيدة وليس عنده ما يوجب الوقعة فيه .  
ومن أبرز القادحين فيه : ابن الجوزي والذهبي رحمهما الله .

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - : " أبو حيان التوحيدي ، الضال الملحد ، أبو حيان ، علي بن محمد بن العباس البغدادي الصوفي ، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية ، ويقال : كان من أعيان الشافعية .

قال ابن بابي في كتاب " الخريدة والفريضة " : كان أبو حيان هذا كذاباً ، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان ، تعرض لأمر جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل ، ولقد وقف سيدنا الوزير صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقتله ، فهرب والتجأ إلى أعدائه ، ونفق عليهم تزخرفه وإفكه ، ثم عثروا منه على قبيح دخيلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الإلحاد ويرومه في الإسلام من الفساد ، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح ، ويضيفه إلى السلف الصالح من الفضائح ، فطلبه الوزير المهلبي ، فاستتر منه ، ومات في الاستتار ، وأراح الله ، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية .

وقال أبو الفرج بن الجوزي : " زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندي ، وأبو حيان التوحيدي ، وأبو العلاء المعري ، وأشدهم على الاسلام : أبو حيان ؛ لأنهما صرّحا ، وهو مجمع ولم يصرح " .

قلت : وكان من تلامذة علي بن عيسى الرماني ، ورأيته يبالغ في تعظيم الرماني في كتابه الذي ألفه في تقرّيط الجاحظ ، فانظر إلى المادح والممدوح ، وأجود الثلاثة الرماني - مع اعتزاله وتشيعه - .

وأبو حيان له مصنف كبير في تصوف الحكماء وزهاد الفلاسفة ، وكتاب سمّاه " البصائر

والذخائر ” ، وكتاب ” الصديق والصدافة ” مجلد ، وكتاب ” المقابسات ” ، وكتاب ”  
مثالب الوزيرين ” – يعني : ابن العميد وابن عباد – ، وغير ذلك .  
وهو الذي نسب نفسه إلى التوحيد ، كما سمي ابن تومرت أتباعه بالموحدين ، وكما  
يُسَمَّى صوفية الفلاسفة نفوسهم بأهل الوحدة وبالاتحادية .  
أنبأني أحمد بن أبي الخير عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي عن ابن طاهر : سمعت أبا  
الفتح عبد الوهاب الشيرازي بالري يقول : سمعت أبا حيان التوحيدي يقول : أناس مضوا  
تحت التوهم ، وظنوا أن الحق معهم ، وكان الحق وراءهم .  
قلت : أنت حامل لوائهم .

وقال أبو نصر السجزي الحافظ فيما يأثروه عنه جعفر الحكاك : سمعت أبا سعد الماليني  
يقول : قرأت الرسالة – يعني المنسوبة إلى أبي بكر وعمر مع أبي عبيدة إلى علي رضي  
الله عنهم – على أبي حيان ، فقال : هذه الرسالة عملتها رداً على الرافضة ، وسببه  
: أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء وكانوا يُغلون في حال ” علي ” ، فعملت هذه  
الرسالة .

قلت : قد باء بالاختلاف على ” علي ” الصفة ، وقد رأيتها ، وسائرها كذب بيِّنٌ ”  
انتهى من ” سير أعلام النبلاء ” ( 17 / 119 – 123 ) باختصار .

ومن أبرز الذابين عنه والمادحين له : تاج الدين الدين السبكي ووالده تقي الدين ،  
وابن النجار رحمهم الله .

قال تاج الدين الدين السبكي – رحمه الله – : ” قال ابن النجار : له المصنفات الحسنة  
ك ” البصائر ” وغيرها .

قال : وكان فقيراً صابراً متديناً ، قال : وكان صحيح العقيدة .

قلت – أي : السبكي – : الحامل للذهبي على الوقية في التوحيدي – مع ما يبطنه من بغض  
الصوفية ! – هذان الكلامان – أي : كلام ابن بابي وابن الجوزي – ولم يثبت عندي إلى  
الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقية فيه ، ووقفْتُ على كثير من كلامه فلم أجد فيه  
إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس مزدرياً بأهل عصره ، لا يوجب هذا القدر أن ينال  
منه هذا النيل ، وسئل الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عنه فأجاب بقريب مما أقول ”  
انتهى من ” طبقات الشافعية الكبرى ” ( 5 / 287 ، 288 ) باختصار .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يثبت لأبي حيان اشتغاله بالفلسفة ولا يجزم له  
بالزندقة .

قال – رحمه الله – : ” فإنَّ أبا حيان تغلب عليه الخطابة والفصاحة ، وهو مركب من  
فنون أدبية وفلسفية وكلامية وغير ذلك ، وإن كان قد شهد عليه بالزندقة غير واحد

وقرنوه بابن الراوندي ، كما ذكر ذلك ابن عقيل وغيره " انتهى من " العقيدة الأصفهانية " ( ص 172 ) .  
وقال - رحمه الله - أيضاً - : " والغزالي في كلامه مادة فلسفية كبيرة بسبب كلام ابن سينا في " الشفا " وغيره ، " ورسائل إخوان الصفا " وكلام أبي حيان التوحيدي " انتهى من " مجموع الفتاوى " ( 54 / 6 ) .  
ونحن نتوقف في الحكم عليه حتى نقف على ترجمة لباحث يتفرغ لقراءة كتبه ويحكم على جملة وعباراته بالعدل ، ولعلنا نحظى برسالة جامعية متخصصة من باحث من أهل السنة قريباً ، وبعدها لعلنا نرجح قولاً على آخر .  
وأما كتابه " البصائر والذخائر " فهو يحتوي على قطع أدبية مسموعة ومنقولة ، وقد أثنى عليه ابن النجار - كما سبق ذكر كلامه - ، وفيه أشياء فائقة البلاغة ، حسنة المعنى جدا . ووقفنا فيه على نقدٍ شديد لأهل الكلام في دينهم وسلوكهم وتعبدهم ، وقد حققه جماعة من المختصين وطُبِعَ عدة طبعات ، وقد استوفت الكلام عليه - تقريباً - الدكتورة وداود القاضي وذلك في دراسة خاصة بالكتاب جعلتها في آخره .

والله أعلم